



رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مكتب البلاد العربية

٣٨

الشاعر والفكر الإسلامي

محمد إقبال

وصلته الثقافية بالعالم العربي..

تأثره وتأثيره

الدكتور فهمي النجار

البيكان
Obékan

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النجار، فهمي

الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال. / فهمي النجار. -

الرياض، ١٤٣١هـ

٣٢٠ص؛ ١٤ × ٢٠سم

ردمك: ٤-٩٨-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- محمد إقبال بن نور محمد، ت ١٣٥٧هـ

أ- العنوان
١٤٣١ / ٩٨١٣

ديوي ١١١،٩٥٣١٠٠٩

رقم الإيداع: ١٤٣١ / ٩٨١٣

ردمك: ٤-٩٨-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

العبيكان
Obeikan

التوزيع: مكتبة

الناشر: العبيكان
Obeikan

للنشر

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ / ٤١٦٠٠١٨ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

obeykhalid.com

obeikandi.com

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١١	- المقدمة
٢١	- التمهيد: الصلات الاجتماعية والثقافية بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده
٢٣	١- أهل الهند والسند في الجزيرة العربية قبل الإسلام
٢٥	- قيام الدولة الإسلامية في الهند
٢٧	٢- تواصل اجتماعي وثقافي بين الهند والبلاد العربية في العهد الإسلامي الأول:
٢٧	أ- أهل الهند والسند في البلاد العربية بعد الإسلام
٣٠	ب- تأثر أهل الهند والسند بالحضارة الإسلامية
	الفصل الأول
٣٥	محمد إقبال.. شاعر الرسالة الإسلامية
٣٧	أولاً: حياته وتربيته وأخلاقه وصفاته
٣٧	١- حياته
٤٢	٢- أخلاقه
٤٦	٣- إيمان إقبال
٥٠	٤- شجاعة إقبال
٥١	٥- إنسانية إقبال
٥٣	٦- سخرية إقبال

الصفحة	الموضوع
٥٥	ثانياً: إنتاج إقبال الفكري والشعري
٥٦	أ - مؤلفات إقبال الشعرية:
٥٦	١- ديوان أسرار خودي (أسرار إثبات الذات)
٥٩	٢- ديوان رموز بي خودي (رموز نفي الذات)
٦٣	٣- ديوان بياض مشرق أو (رسالة المشرق)
٦٦	٤- ديوان بانك درا (صلصلة الجرس أو جرس القافلة)
٦٧	٥- زبور عجم
٦٩	٦- جاويد نامه (الكتاب الخالد)
٧٣	٧- مسافر
٧٤	٨- بال جبريل (جناح جبريل)
٧٧	٩- بس جه بايد كرد اي اقوام شرق؟ (ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق؟)
٧٨	١٠- ضرب كلیم (أو ضرب موسى)
٨٢	١١- أرمغان حجاز (هدية الحجاز)
٨٤	ب - مؤلفات إقبال النثرية:
٨٤	١- تجديد التفكير الديني في الإسلام
٨٩	٢- علم الاقتصاد
٩٠	٣- تاريخ الهند
٩٠	٤- تاريخ بريطانيا القديمة (ترجمة وتلخيص)

الصفحة	الموضوع
٩٠	٥- الاقتصاد السياسي (ترجمة وتلخيص)
٩٠	٦- أردو كورس (منهج تعليم الأردو)
٩٠	٧- أتينة عجم (مرآة العجم)
٩١	٨- تطور الميتافيزيقا في فارس
٩١	٩- خواطر شاردة
٩١	١٠- مقالات وخطب إقبال (بالإنكليزية والأردية)
٩٣	١١- رسائل إقبال
الفصل الثاني	
تكوين إقبال الفكري والثقافي	
٩٧	
١٠١	أولاً: المصادر الإسلامية
١٠١	١- القرآن الكريم
١١١	٢- السنة النبوية
١١٣	٣- سيرة الصحابة والتابعين
١١٧	٤- الفلسفة الإسلامية والفكر الصوفي
١٢٤	٥- الأدب الإسلامي عامة والعربي خاصة
١٣٠	ثانياً: المصادر الغربية
١٣٠	١- الفلسفة اليونانية
١٣١	٢- جوته
١٣٣	٣- ليبنتز

الصفحة	الموضوع
١٣٦	٤- نيته
١٣٩	٥- برغسون
الفصل الثالث	
محمد إقبال والعالم العربي	
١٤١	١- بواعث اهتمام إقبال بالعالم العربي
١٤٣	٢- إقبال والواقع العربي
١٤٨	٣- إقبال واليهود وفلسطين
١٥٤	٤- إقبال والاستعمار الغربي
١٦٠	
الفصل الرابع	
محمد إقبال في العالم العربي	
١٦٥	١- نشر فكر إقبال وشعره في العالم العربي
١٦٧	٢- تأثير العالم العربي بفكر إقبال وشعره
١٧٢	
الفصل الخامس	
محمد إقبال من رواد الصحوة الإسلامية	
١٨١	المبحث الأول: ثورة الإسلام في الهند وتأثيرها على العالم العربي
١٨٣	نظرة تاريخية
١٨٣	١- الشيخ المجدد أحمد السرهندي
١٨٥	٢- الإمام ولي الله الدهلوي
١٨٥	٣- أحمد بن عرفان الشهير بـ (شاه إسماعيل الدهلوي)
١٨٦	٤- ندوة العلماء
١٨٧	

الصفحة	الموضوع
١٨٩	المبحث الثاني: محمد إقبال والصحة الإسلامية
١٨٩	- محمد إقبال من رواد الصحة الإسلامية
١٩٠	١- نظرة محمد إقبال إلى الواقع الإسلامي
١٩٦	٢- دعوة إقبال إلى اليقظة الإسلامية
٢٠٠	٣- إقبال والمدنية الغربية والفلسفات الإلحادية
٢٠٤	٤- إقبال والشباب الإسلامي
الفصل السادس	
٢٠٩	مرتكزات الصحة الإسلامية عند إقبال
٢١١	أولاً: الدعوة إلى تجديد التفكير الديني في الإسلام
٢١١	أ- مفهوم التجديد لدى إقبال
٢١٢	ب- دوافع إقبال وأهدافه إلى تجديد التفكير الديني في الإسلام
٢١٦	ج- صياغة جديدة للعقيدة الإسلامية
٢١٨	د- مصادر المعرفة لدى إقبال
٢٢٨	ثانياً: بناء فلسفة جديدة للذات المسلمة
٢٢٩	١- مفهوم الذات عند إقبال
٢٤١	٢- فلسفة إثبات الذات
٢٤٥	٣- مراحل ارتقاء الذات
٢٥٠	٤- العوامل المضعفة للذات
٢٥٧	٥- تربية الذات
٢٦٢	٦- المجتمع الذي تحتاجه الذات في ترقيتها يقوم على:

الصفحة	الموضوع
٢٦٢	أ - التوحيد
٢٦٥	ب- الرسالة والقيادة الملهمة
٢٦٧	ج - الدستور القرآني
٢٦٨	د- المركز المحسوس
٢٦٩	هـ - الهدف الواضح
٢٧٠	و - تسخير قوى العالم
٢٧٣	ز - شعور المجتمع بذاته
٢٧٥	ح - حفظ الأمومة واحترامها
٢٧٩	ثالثاً: الإسلام دين ودولة
٢٨١	رابعاً: الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد الإسلامية
٢٨٥	خامساً: الدعوة إلى الوحدة الإسلامية
٢٨٧	سادساً: محاربة الدعوات الهدامة مثل القاديانية
	الفصل السابع
٢٩١	تقويم فكر إقبال وآرائه
٢٩٣	١- رأي بعض معاصريه وغيرهم في فكره وشخصيته
٢٩٨	٢- رأي بعض المفكرين الغربيين في فكره
٣٠٥	خاتمة البحث
٣١١	المراجع والمصادر

المقدمة

obeikandi.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن العلامة والمفكر الإسلامي العظيم محمد إقبال، علم من أعلام الفكر والفلسفة الإسلامية، وكذلك هو علم من أعلام الشعر الإسلامي الملتزم.

صاغ شعره باللغة الأردية والفارسية، وكان يتمنى أن ينظم باللغة العربية - لغة القرآن - حتى تصل أفكاره إلى العرب، والشباب العربي بشكل خاص.

ولكنه لم ينظم الشعر بالعربية.. وقام بعض المخلصين بترجمة شعره وتعريبه.. ووصل فكره وأدبه إلى شباب العرب وأثر فيهم، وأشعلت قلوبهم ونفوسهم بالحمية بتأثير شعره، واستيقظت عقولهم وفكرهم.. وأصبحوا ينادون بالعودة إلى الإسلام من جديد.. لأنهم بالإسلام يصلون إلى العزة والكرامة.. ويتخلصون من الاستعمار الذي ناء بكله على البلاد العربية، بعد أن مزقها دولاً وأمصاراً.

كان إقبال منارة علم وأدب في سماء الصحوة الإسلامية التي نرى آثارها اليوم في جميع بلاد العالم الإسلامي.

إننا نرى اليوم دعوات في شتى أنحاء العالم الإسلامي تنادي بالعودة إلى الإسلام، وتنادي بأن الإسلام نظام يصلح لكل زمان ومكان.. وتنادي

بالتحرر من الهيمنة الغربية خاصة، ومحاربة صور المدنية الغربية السيئة، وتدعو إلى التربية الإسلامية الصحيحة لتخريج شباب يحملون راية الإسلام من جديد.

ولم يدر بخلدي حينما اطلعت على شعر إقبال المترجم للعربية أول مرة نحو عام ١٩٥٥م - أن أقوم بدراسة علمية منهجية عن إقبال بعد مرور أكثر من ٢٣ عاماً على ذلك التاريخ. يومها كنت في الخامسة عشرة من عمري، أردد مع بعض الشباب قصيدة إقبال من ترجمة الشيخ الصاوي شعلان:

الهند لنا والصين لنا والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطننا
وكذلك قصيدته الرائعة "شكوى" التي ترجمها الصاوي شعلان، والتي يفخر فيها بالفاتحين المسلمين الأوائل:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اس مك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبلاً في الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان آذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة خضراء تثبت حولها الأزهارا

فقد كانت هذه الأبيات تثير حماسنا، وتشعل جذوة الإيمان في صدورنا، وتدفعنا إلى الجهاد، وتقليد أبطال الإسلام.

ومرت الأيام، ونحن نزداد معرفة بإقبال عن طريق ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام الذي ألف كتاباً عن إقبال، وحياته وفلسفته، وكذلك ترجم ديواني "أسرار خودي" و"رموزي خودي" في ديوان واحد سماه «الأسرار والرموز».

وكنا - خلال السنوات التي تلت ذلك - نتلهف لكل ما يصدر لإقبال مترجماً إلى العربية، وقد صدر في الستينات كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي رحمته الله "روائع إقبال" باللغة العربية، الذي يضم لمحة عن حياة إقبال ومجموعة من قصائده المعبرة عن آرائه في الحياة، والتربية والحضارة الغربية، والجهاد، وواقع العالم العربي والإسلامي.

وهكذا فإن إقبال كان ملء قلوبنا وعقولنا، إذ كان شعره الحماسي يلاقي صدًى في نفوس الشباب المتحمس لتحكيم الإسلام، وإلى الجهاد في سبيل الله فضلاً عن أن هذا الشعر ينبئ عن إخلاص قائله وشجاعته وصدقه، لذلك كان يؤثر في القلوب.

وهكذا فإن شعر إقبال أشعل الجذوة المتقدة في نفوس الشباب وقلوبهم، بعد اليقظة التي أسهم فيها كثير من العلماء العاملين لإعادة مجد الإسلام من جديد، وطرد الكسل والخمول والنهن من النفوس.

ولهذا كله أحب الشباب الإسلامي في البلاد العربية إقبالاً، وروح إقبال، وشجاعة إقبال.

وأعترف أنني لم أتذوق شعر إقبال كتذوقي للشعر العربي، ذلك أن الترجمة الشعرية مهما كانت مطابقة للأصل في المضمون، والمعاني الفكرية إلا أنها لا تستطيع أن تأتي بجمال الشعر في لغته الأصلية.

ومع ذلك فإن شعر إقبال المترجم نثراً من قبل الشيخ أبي الحسن الندوي، والمترجم شعراً من قبل الصاوي شعلان وعبد الوهاب عزام، قد أخذ بلبي، وسحر وجداني، وملاً قلبي عاطفة، وعقلي فكراً، وأشعل الحماسة في نفسي، وفي نفوس كثير من الشباب في الستينات من هذا القرن.

وقد أدى تقصير الأدياء والمفكرين في البلاد الإسلامية عامة، إلى إقصاء إقبال عن الساحة الأدبية والفكرية في العالم العربي خاصة، والإسلامي عامة. لذلك فإن كثيراً من الشباب الآن يجهل إقبالاً، وما قام به في النصف الأول من هذا القرن، من بعث لمبادئ الإسلام، والمناداة بتحكيم الإسلام في شؤون الحياة، ومن جهاد باللسان والقلم ضد القيم الدخيلة على الإسلام، ومن مصارعة للحضارة الغربية التي تجتاح العالم الإسلامي.

ومن هنا نبعت فكرة هذه الدراسة العلمية عن شاعرنا العظيم محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي - وتأثره بالثقافة الإسلامية وتأثيره في الفكر الإسلامي، والأدب الإسلامي.

أرجو أن تضاف هذه الدراسة إلى الآلاف الذين كتبوا عن إقبال في الشرق والغرب من كتب ورسائل ومقالات ومحاضرات وندوات. (١)، وأن تكون جديدة في فكرتها، ومنهجها، وأسلوبها..

(١) جاء في مقال قرئ في مهرجان إقبال المثوي المنعقد في مدينة لاهور تحت إشراف حكومة باكستان في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٧م أن عدد ما صدر عن إقبال من الكتب والرسائل في لغات العالم المختلفة قد بلغ ألفين (٢٠٠٠) ما بين كتاب ورسالة، هذا عدا ما نشر من البحوث والمقالات، وما ألقى من أحاديث ومحاضرات في مجلات وحفلات مختلفة، وبذلك فاق إقبال شكسبير الإنكليزي، ودانتي الإيطالي، وطاغور الهندي. فلم يكتب عن أحد منهم ما كتب عنه. (انظر روائع إقبال للندوي - ص ٢، ٣).

وإن نظرة على فصول هذا البحث تعطي القارئ تصوراً واضحاً عن الفكرة التي يدور حولها، وهو مقدار تأثير محمد إقبال بالثقافة الإسلامية، ومقدار تأثيره في فكر المجتمع الإسلامي.

ففي التمهيد للبحث ألقيت نظرة على الصلة الثقافية والاجتماعية بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده، واختلاطهم بالقبائل العربية، ومشاركتهم في الغزوات بين القبائل.. وخاصة في اليمن جنوب الجزيرة العربية، وعلى سواحل الخليج العربي القريبة من القارة الهندية.

وكذلك وجودهم في الجزيرة العربية بعد الإسلام، وتأثرهم بالحضارة الإسلامية.. فكان منهم الشعراء والعلماء والمحدثون والأدباء.

أولاً - أما الفصل الأول فقد بحثت فيه شخصية محمد إقبال؛ حياته وتربيته وتعليمه وأخلاقه، وإنتاجه الفكري، شعراً ونثراً، وما ترجم من هذا الإنتاج إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات، ومقتطفات من دواوينه التي نظمها باللغتين الأردية والفارسية، وتلخيص أفكار إقبال في كتابه " تجديد التفكير الديني في الإسلام " والإشارة إلى الكتب الأخرى في مجال التاريخ والاقتصاد وكذلك الإشارة إلى رسائله.

وقد اعتمدت على المصادر العربية فحسب لأنني رأيتها تفي بالغرض الذي أسعى إليه، وخاصة أن هذه المؤلفات لكبار الكتاب الذين عاصروا العلامة إقبال وعاشوه، وممن وُصفوا بالصدق والإخلاص بالعمل والقول، ومن هؤلاء:

- أبو الحسن الندوي: رئيس ندوة العلماء في الهند، وقد التقى به قبل وفاته، وهو ممن فهموا فلسفته وفكره، وتذوقوا شعره، وكتبوا عن حياته، وترجموا بعض أشعاره نثراً، مما أضفى على شعر العلامة

إقبال جمالاً وروعة.. وذلك كله في كتابه الرائع (روائع إقبال) الذي تكررت طبعاته في دمشق ولاهور، وقرأه الآلاف من العرب والمسلمين.

- والدكتور عبد الوهاب عزام: الذي كان سفيراً لمصر في باكستان، ويرجع إليه الفضل في التعريف بإقبال وحياته وشعره وتقديمه للشباب العربي. وقد ترجم عدة دواوين لإقبال أهمها (الأسرار والرموز) وألّف أيضاً كتاباً عن حياة إقبال وفلسفته كما هو مبين في المراجع.

- والأديب الكاتب السوري إحسان حقي: الذي رافق إقبالاً لفترة من الزمن، وكتب عن حياته بشكل دقيق، ولم ينس أن يكتب حتى عن عاداته الشخصية، وطعامه المتواضع... وقد كان إقبال يحبه كثيراً ويقربه إليه، وبقي معه حتى أخرجه الاستعمار الإنكليزي من باكستان (الهند يومها). وكتابات إحسان حقي موجودة في كتاب الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي الذي ألّفه الكاتبان: محمد حسن الأعظمي، والشاعر المصري الصاوي شعلان الذي يعد من أفضل من عرب شعر إقبال.

ثانياً: بينت في الفصل الثاني مقدار تأثير إقبال بالثقافة الإسلامية من خلال تكوينه الفكري والثقافي.. وبينت مصادر ثقافته الأصلية من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتاريخ الصحابة، والفلسفة الإسلامية، والفكر الصوفي عند الغزالي والرومي وغيرهم، وكذلك تأثره بالأدب العربي.

ومناقشة من يدعي أن ثقافة إقبال غريبة، وردّ إقبال عليهم، على الرغم مما يظهره إقبال من الإعجاب بفكر (نيتشه الألماني) في الإنسان الكامل، وفلسفة (برغسون الفرنسي) في الزمان.. ومعارضتهما في كثير من أفكارهما.

ثالثاً: ودلت في الفصل الثالث على مقدار تأثر إقبال بالعالم العربي وما يقع فيها من مصائب ورزايا، وحرقته على ما آل إليه المسلمون من هوان وذلة وفي هذا الفصل وضحت ما يلي:

- إقبال والعالم العربي.
- إقبال واليهود وفلسطين.
- إقبال والاستعمار الغربي.

رابعاً: وفي الفصل الرابع وضحت النقاط الآتية:

- نشر فكر إقبال في العالم العربي.
- زيارة إقبال للعالم العربي.
- تأثير العالم العربي بفكر إقبال.

أما الدراسة التحليلية التي تهمننا في هذا البحث: فقد بينت فيها تأثر إقبال بالأصول الأساسية للفكر الإسلامي، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية.. وتأثر إقبال بالأدب العربي في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي. ومتابعتي لشعر إقبال المترجم إلى العربية في دواوينه العديدة وخاصة اقتباسه من الشعر الجاهلي، وتضمنين أبيات كاملة من معلقة عمرو بن كلثوم في شعره، وكذلك اقتباس بعض الصور الشعرية من الشاعر الجاهلي امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى؛ مما يدل على أن إقبالاً اطلع على الشعر الجاهلي كاملاً.

خامساً: وفي الفصل الخامس الذي عنوانه: محمد إقبال من رواد الصحوة الإسلامية.. مهدت للبحث بخبر أولئك العلماء الأفاضل الذين قادوا النهضة الإسلامية في القارة الهندية، والعلامة إقبال آخر هذه السلسلة الطيبة.

ثم بينت دور إقبال في الصحوة الإسلامية ودعوته إلى اليقظة، والثورة، ونقده للمدنية الغربية والفلسفات الإلحادية. وفي هذا الفصل يظهر تأثير إقبال العميق بالنهضة الإسلامية في الوطن العربي.

سادساً: أما الفصل السادس: (مرتكزات الصحوة الإسلامية)

فهو من أهم الفصول عندي، ويتعلق بموضوع البحث، إذ يظهر أثر إقبال الواقعي والعملي في النهضة الفكرية الإسلامية، وتبني الحركات الإسلامية كثيراً من أفكار إقبال، لذلك دعا إقبال إلى بناء فلسفة جديدة للذات المسلمة في الفكر الإسلامي تهدف إلى بعث الحركة في النفس.. لتعيد الثقة بالذات عند الفرد المسلم.. بعد أن كان مسحوقاً أمام طغيان القوة المادية الاستعمارية، وتدفع هذا الفرد إلى النهوض والثورة ضد الاستعمار.

ومن هذه المبادئ التي ذكرها في كثير من دواوينه.. وأصبحت من الأفكار والمبادئ التي هي من أسس كثير من الحركات الإسلامية:

- ١- الإسلام دين ودولة.
- ٢- محاربة العلمانية التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة.
- ٣- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.
- ٤- محاربة الدعوات الهدامة.
- ٥- الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار القديم والجديد.

هذه هي أهم المبادئ التي نادى بها إقبال، وتحولت إلى واقع، ولم تبق مجرد خيال أو أحلام.



التمهيد

الصلوات الاجتماعية والثقافية
بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده

obeikandi.com

التمهيد: الصلات الاجتماعية والثقافية بين الهند والبلاد العربية قبل الإسلام وبعده.

١- أهل الهند والسند في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

كانت التجارة، والبحث عن الرزق، من أهم عوامل اللقاء بين الهند والعرب في الجاهلية (عصر ما قبل الإسلام)، وكانت تجارة الهند تنقل إلى سواحل عُمان واليمن والبحرين^(١)، وكانت السيوف تجلب إليها منها فتسبوا إليها وقالوا: السيوف الهندية، بل غلب عليها اسم الهندية والمهندة، وكعب بن زهير عندما مدح الرسول ﷺ في قصيدته المشهورة (بانت سعاد) شبهه بالسيف الهندي:

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به مَهْدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولٌ

والدليل على صلة كثير من أهل الهند والسند بالقبائل العربية مثل قبيلة بكر بن وائل، وعبد القيس بن ربيعة، ولكيز بن عبد القيس تردد أسماء كثيرة من أهل الهند في أشعار العرب، ووصفهم بالقوة والشكيمة، ومن هذه الأبيات الشعرية قول شاعر قبيلة لكيز، الأخنس بن شهاب التغلبي:

لكيز لها البحران والسيف دونها وإن يأتها بأس من الهند كارب^(٢)

وقال آخر:

بني أمةٍ محبوبيةٍ هندية بني جمع عبد قيس بن وائل

(١) البحرين: لا يقصد بها جزيرة البحرين الحالية، بل تطلق التسمية على مناطق الأحساء في المملكة العربية السعودية حالياً.

(٢) الحماسة لأبي تمام ١/٣٧٦.

ويؤكد منعة أهل الهند وقوتهم إذا ساندوا قبيلة ما قول عبد الله بن عوهم:

ويُغني الزطُّ عبدَ القيسِ عنا وتكفينا الأساورةَ المزونا^(١)

هذه الأبيات الشعرية تؤكد وجود الهند في جزيرة العرب قبل الإسلام، وتؤكد الصلة القوية بينهم وبين القبائل العربية، ومشاركتهم في الغزو والقتال بين القبائل قبل الإسلام.

والدليل الآخر على وجود كثير من أهل الهند والسند من الزط والسيابجة، والأساورة، والأخامرة، والأصاصرة، والميد، في الجزيرة العربية، معرفة العرب لهم بأشكالهم وعاداتهم وتقاليدهم وزينهم وألوانهم وشهورهم.

وما روي في هذا المجال؛ قول النبي ﷺ حينما وفد عليه بنو الحارث: «مَنْ هؤلاء الذين كأنهم من الهند؟»^(٢)

وفي البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: (واذكر في الكتاب مريم...) عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر عريض الصدر، وأما موسى فأدم جسم، سبط، كأنه من رجال الزط.

وقد جاء في الأحاديث والأخبار أسماء كثير من أهل الهند وأحوالهم في المدن العربية، وتفاعلهم مع المجتمع العربي وتأثرهم وتأثيرهم في هذا المحيط، اجتماعياً، وثقافياً، وعسكرياً.

(١) الزط: من أهل الهند، العقد الثمين في فتح الهند - للقاضي أبي المعالي أطهر المباركبوري، ص ٢٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ / ١٦٥.

فقد روى الذهبي في تجريد أسماء الصحابة: أن كسرى ملك الفرس ولى «بازان» الهندي على اليمن، وبقي حتى البعثة النبوية، فبعث بإسلامه وإسلام من معه بعد مقتل كسرى. (١)

ويروي ابن حجر في الإصابة (٢)، فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به، سواء أسلم في حياته أو بعده: «بيرزطن» الهندي اليمني، وله خبر مشهور في حشيشة القنب، وأنه أول من أظهرها بتلك البلاد، واشتهر أمرها في اليمن، ثم أدرك هذا الشيخ الإسلام فأسلم.

وروى البخاري في الأدب المفرد: أن هناك طيبياً من الزط من أهل المدينة أدرك عصر النبي ﷺ في حياته أو بعدها. (٣)

قيام الدولة الإسلامية في الهند:

لما اتسع الفتح الإسلامي في الشرق اتجه تلقاء السند، فغزا المسلمون «مكران» (٤) في عهد الخلفاء الراشدين، ثم فتحوها أيام الأمويين، وكانت تسمى نغر الهند.

ثم فتحت السند في عهد الوليد بن عبد الملك (٥) على يد محمد بن القاسم الثقفي (٦) ففتح مدينة الدبل (٧) على ساحل المحيط الهندي،

(١) تجريد أسماء الصحابة للذهبي - ج ١ ص ٤٥.

(٢) الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني - ج ١ - ص ١٧٩.

(٣) الأدب المفرد - للبخاري - باب بيع الخادم.

(٤) مكران - مدينة في بلاد السند - (الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج ٣ - ص ٤٣).

(٥) الوليد بن عبد الملك - خليفة أموي - تولى الخلافة سنة ٨٦هـ، وتوفي سنة ٩٦هـ.

(٦) محمد بن القاسم الثقفي: (٧٢ - ٩٦هـ) ولاء الحجاج قيادة الجيش الإسلامي المتوجه إلى السند وهو ابن سبع عشرة سنة.

(٧) مكان كراشي اليوم.

ثم اجتاز نهر السند ففتح "الملتان"، وتوالت الفتوح من هذا الإقليم، وبنيت مدينة المنصورة، واستقر السلطان الإسلامي في السند على مر العصور، ولم يتوغل المسلمون في الهند ويمدوا سلطانهم في أرجائها إلا منذ القرن الرابع الهجري.

كان أول فاتح للهند من ملوك المسلمين السلطان "محمود بن سبكتكين" مؤسس الدولة الغزنوية، تولى الملك من سنة ٣٨٧ - ٤٢١ هـ، وبعد أن وطد سلطانه في أفغانستان وشرق إيران عزم على فتح الهند، فقاد الجيوش إليها خمس عشرة مرة بين سنتي ٣٩١ - ٤١٧ هـ، ففتح كشمير وبنجاب وجهات أخرى، ثم اتخذت الدولة الغزنوية مدينة لاهور حاضرة ملكها.

وكذلك عنيت بفتح الهند الدولة الغورية التي خلفت الدولة الغزنوية في أفغانستان، واستمر ملكها من سنة ٥٤٣ - ٦١٢ هـ، فاستولت على الأقاليم التي فتحها العرب المسلمون من قبل: السند والملتان، ومدت سلطانها على الهند الشمالية كلها.

ثم نشأت في الهند دول إسلامية أخرى^(١) إلى أن استولى على شمال الهند "بابرشاه" من سلالة «تيمورلنك»^(٢) في القرن العاشر الهجري، فأقام الدولة المغولية التي بسطت سلطانها على الهند كلها، واستمر لها السلطان في تلك البلاد على اختلاف في الأحوال حتى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٢٧) م حينما خلع الإنكليز آخر ملوك هذه الدولة بهادرشاه الثاني (١٢٥٣ - ١٢٧٥ هـ)^(٣).

(١) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم - د. الساعاتي - ج ١ - ص ٥٣ و ١٢١.

(٢) المرجع السابق - ج ٢ - ص ١ - ٧١.

(٣) المرجع السابق - ج ٢ - ص ٢٧٨.

٢- تواصل اجتماعي وثقافي بين الهند والبلاد العربية في العهد الإسلامي:

أ- أهل الهند والسند في البلاد العربية بعد الإسلام:

دخل الإسلام بلاد الهند قبل بدء الفتوحات الإسلامية في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء المسلمون إليها مجاهدين، ففتحوا بعضها بالصلح والمعاهدة، وبعضها عنوة، ورجعوا بالفنائم والسبايا الذين ضمّوهم إلى أهلهم وجعلوهم موالى، ومن هؤلاء "الحنفية السندية" التي كانت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له ابنة محمداً المشهور "بابن الحنفية"، وسلافة أو غزاة السندية كانت أمة للحسين بن علي رضي الله عنه، فولدت له علي بن الحسين بن علي، الإمام زين العابدين.

ومن سلالة موالى الهند الذين أقاموا في عهد الخلافة الراشدة في بلاد العرب مع الصحابة والتابعين وعامة المسلمين:

- الإمام الحافظ أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني صاحب المغازي، مولى امرأة من بني مخزوم.

- وعبد الرحمن السندي؛ تابعي سمع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال البخاري في التاريخ الكبير: «عبد الرحمن السندي سمع أنساً رضي الله عنه»: «كان النبي صلى الله عليه وآله يأكل ولا يتوضأ من اللحم» توفي رحمته الله سنة ١٧٠ هـ.

- والإمام الفقيه مكحول بن عبد الله الشامي مولى امرأة من بني قيس سندي من سبي كابل، على قول، وهو تابعي روى عن الصحابة أنس وأبي

أمامة وغيرهما، قال الذهبي في التذكرة: مكحول عالم أهل الشام.. قال ابن إسحاق: سمعت مكحولاً يقول: طُفت الأرض في طلب العلم. وقال الزهري: العلماء ثلاثة، وَعَدَّ منهم مكحولاً، وقال أبو حاتم: ما أعلم بالشام أفتقه من مكحول. توفي سنة ١١٢ هـ، رحمه الله^(١).

- والإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي السندي، ولد سنة ٨٨ هـ، صاحب المذهب الفقهي الذي تبعه أهل الشام وأهل الأندلس مدة من الدهر، وله مدونات في علم الحديث، وأثار التابعين، ومن سمع منهم، واستخرج الأحكام الشرعية على مذهب انفراد به^(٢). قال الذهبي: الأوزاعي أصله من السند. وتوفي - رحمه الله - عام ١٥٧ هـ.

- وكذلك أحمد بن محمد، أبو العباس الديلمي - المصري، الفقيه الحافظ الزاهد، توفي سنة ٢٧٢ هـ.

- والحسن بن محمد، أبو الفضائل اللاهوري، البغدادي، الفقيه، المحدث، اللغوي، توفي عام ٦٥٠ هـ، عاش في بغداد ودفن في مكة، وله مؤلفات كثيرة في اللغة والفقه والحديث منها: مجمع البحرين (١٢ سفرًا) والشوارد في اللغة، وشرح البخاري.

وغير هؤلاء كثير من العلماء والفقهاء، لا مجال لذكرهم في هذا البحث^(٣).

(١) ارجع إلى العقد الثمين - ص ٢١٧.

(٢) وكتابه هذا يوجد منه نسخة خطية في مكتبة جامعة القرويين بالمغرب.

(٣) ارجع إلى كتاب: «العقد الثمين»، وكتاب "رجال الهند والسند إلى القرن السابع"، فيهما تفصيل عن رجال أهل الهند والسند الذين ولدوا وعاشوا في البلاد العربية وخارجها من العلماء والمحدثين، والرواة والفقهاء والمشايخ، والأدباء والشعراء، والمتكلمين والفلاسفة، وأرباب الصناعات وغيرهم الذين يعدون بالمئات. وما ذكرته على سبيل المثال لا الحصر.

وفي مجال الأدب والشعر، نجد من أهل الهند من هاجر إلى البلاد العربية، وكان لهم تأثير كبير:

منهم: الشاعر الحماسي أبو العطاء أفلح بن يسار السندي، من أهل الكوفة^(١) كان مولى بني أسد، وكان أبوه سندياً أعجمياً لا يفصح. أما هوفكان شاعراً بليغاً من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد نشأ أبو العطاء بين العرب، ونبغ في الشعر، لكنه لازمته لُكنة، فكان لا يحسن التلفظ بالحاء والجيم والشين، فاتخذ غلاماً فصيحاً ينشد شعره الذي ذكره أبو تمام الطائي في كتابه الحماسة:^(٢)

ذكرتِكِ والخَطِيُّ يخطرُ بيننا وقد نهلتُ منا المثقفةُ السُّمْرُ^(٣)
فواللهِ ما أدري وإنِّي لصادقٌ أداءٌ عراني من حبابكِ أمَّ سحرُ
فإن كان سحراً فاعذريني على الهوى وإن يكُ داءٌ غيرُهُ فلكِ العذرُ
وقال يمدح سليمان بن سليم:

أعوزتني الرواةُ يا ابنَ سليمٍ وأبى أن يقيمَ شعري لساني
وغلابُ الذي أحجمَ صدري وجفاني لُعجمتي سلطاني
وازدرتني العيونُ إذ كان لوني حالكاً يحتوي من الألوان^(٤)

(١) الكوفة: مدينة في العراق.

(٢) انظر كتاب الحماسة لأبي تمام بن أوس الطائي - ج ١ - ص ٦٦.

(٣) الخطي: نسبة إلى الرماح الخطية، وأصلها من الهند تنتقل إلى الخط وهو على ساحل البحرين - المثقفة السمر: أي الرماح المستقيمة.

(٤) ازدرتني: احتقرتني. حالكاً: شديد السواد.

فضربتُ الأمورَ ظَهراً لِبطنِ
 وتمنيتُ أنني كنتُ بالشعرِ
 ثم أصبحتُ قد أنختُ ركابي
 فاكفني ما يضيِّقُ عنه رُواتي
 يفهم الناسُ ما أقولُ من الشعرِ
 كيف أحتالُ حيلةً لِساني^(١)
 فصيحاً وبانٍ بعضُ بناني^(٢)
 عند رَحَبِ الفناءِ والأعْطانِ
 بفصيح من صالحِ الغلمانِ
 فإن البيانُ قد أعيانِي

وقد توفّي أبو العطاء السندي أيام المنصور.

وممن نسلوا من أصل سندي - كذلك -، ابن الأعرابي الراوية اللغوي، محمد بن زياد السندي الكوفي، وهو من موالى بني هاشم، وله مصنفات كثيرة منها: النوادر، والأنوار، وتاريخ القبائل، ومعاني الشعر وتفسير الأمثال، وقد توفّي سنة ٢٣١ هـ.

ب - تأثر أهل الهند والسند بالحضارة الإسلامية:

والدارس لتاريخ العلم والعلماء في الهند، يعرف جيداً مقدار تأثر أهلها بحضارة الإسلام. يقول العلامة الهندي عبد الحي الحسني (١٢٨٦ - ١٣٤١ هـ) في كتابه القيم (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف)^(٣):
 «أعلم أن الإسلام ورد الهند من جهة خراسان وما وراء النهر،

(١) بان بعض بناني: يتمنى الشاعر أن يكون فصيح اللسان، مقابل أن تقطع بعض أصابعه.

(٢) أنخت ركابي: كناية عن لجوئه وإيوائه، رحب الفناء والأعطان: كناية عن الكريمة.

(٣) طبع هذا الكتاب بدمشق في سورية عام ١٢٧٧ هـ (١٩٥٨ م) بعنوان: الثقافة الإسلامية في الهند. المجمع العلمي العربي. وسترد ترجمة المؤلف لاحقاً.

فانعكست أشعة العلم على الهند من قبل تلك البلاد، وكانت صناعة أهلها من قديم الزمان فنون الفلسفة وحكمة اليونان، وكان قصارى نظرهم في علم النحو والفقهاء والأصول والكلام عن طريق التقليد، فلما بلغ الإسلام إلى الهند وصارت بلدة «ملتان»^(١) مدينة العلم، نهضت من تلك البلدة جمع كثير من العلماء، ثم لما صارت "لاهور" قاعدة الملك في أيام الغزنوية^(٢) صارت مركزاً للعلوم والفنون، ثم لما افتتح الملوك الغورية^(٣) مدينة "دهلي" وجعلوها عاصمة البلاد المفتوحة من الهند، صارت مرجعاً ومأبياً للعلماء حتى وفد إليها أرباب الفضل والكمال من كل ناحية وبلدة، فدرسوا وأفادوا عهداً بعد عهد، ولم تزل كذلك إلى آخر عهد الملوك التيمورية^(٤).

وقد صارت اللغة العربية، منذ الفتح الإسلامي للهند، لغة العلم والأدب، فما خلت الهند في العصور الإسلامية من علماء يؤلفون بالعربية، وأكثر مؤلفاتهم في العلوم الإسلامية مثل التفسير والحديث والفقهاء والكلام. وفي علوم العربية: مثل اللغة والنحو والصرف والبلاغة.. نذكر من هؤلاء العلماء على سبيل المثال:

- فيضي، المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ، وهو صاحب التفسير المسمى: سواطع الإلهام.

- ومن كبار المفسرين والمتكلمين عبد الحكيم السيالكوتي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ، وهو من علماء عصر شاه جهان (١٠٢٧ - ١٠٦٨ هـ).

(١) مدينة معروفة في باكستان.

(٢) الغزنوية - قامت بعد الدولة السامانية.. ومن ملوكها محمود الغزنوي، وهم أتراك.

(٣) الغورية قامت بعد الدولة الغزنوية ٥٥٥ هـ (١١٦٢ م).

(٤) في القرن العاشر الهجري وحتى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٢٧ م).

- ومن الفقهاء محب الله البهاري، وله تأليف في الفقه، وآخر في المنطق.
- والشيخ نظام، الذي أشرف على جمع الفتاوى الهندية في عهد أورنك زيب^(١).
- ومن المؤلفين بالعربية في العصر الحاضر "صديق حسن خان"، مؤلف حقوق النسوة، وغيره، من الكتب القيمة. والشيخ «شبلي النعماني»^(٢) الذي نقد تاريخ الأدب العربي «لجرجي زيدان»^(٣) و"كرامت حسين" مؤلف فقه اللسان واللغة، وعبد العزيز الميمني؛ له رسائل مهمة في تاريخ الأدب، وقد نشر في مصر "سمط اللآلي شرح كتاب الأمالي"، وكتباً أخرى قيمة، وزاهد علي شارح ديوان ابن هاني^(٤).
- ومن المؤلفين بالعربية المعاصرين: الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي - رحمه الله - رئيس ندوة العلماء بلكنو بالهند، والذي له مؤلفات قيمة في العلوم الإسلامية والحضارة والأدب منها: «السيرة النبوية»، و"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و"روائع إقبال" وغيرها من الكتب القيمة... وقد أسس رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٤٠٦هـ، ولها أعضاء من جميع البلاد العربية والإسلامية.

(١) عام (١٠٦٩ - ١١١٨ هـ).

(٢) شبلي النعماني: باحث ومؤلف هندي مشهور بالدقة والتحري.

(٣) جرجي زيدان: ١٢٧٨ - ١٣٢٢ هـ (١٨٦١ - ١٩١٤ م) كاتب نصراني من أصل لبناني، عاش في مصر، وكتب تاريخ الإسلام بأسلوب قصصي مغرض.

(٤) عبد الحي بن فخر الدين الحسيني (١٢٨٦ - ١٣٤١ هـ - ١٨٦٩ - ١٩٢٣ هـ): مؤلف كتاب: نزهة الخواطر في تراجم أعيان الهند - غير المنقسمة -، في ثمانية مجلدات كبار، ظهرت سبعة منها من دائرة المعارف بحيدر آباد في الهند. ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق كتاباً له باسم: «الثقافة الإسلامية في الهند» وهو كتابه: معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، وهو والد الشيخ أبي الحسن الندوي - رحمه الله - (انظر روائع إقبال، هامش ص ٧).

- ولقد جمع عبد الحي الحسني - رحمه الله - أسماء العلوم والعلماء في الهند منذ الفجر الإسلامي في الهند - وذكر مصنفاتهم في العلوم الإسلامية كافة مبيناً أثر الهند الإسلامية في حفظ هذه العلوم وإثرائها بالمؤلفات والشروح المطولة والفتاوى، واللغة والأدب والشعر والمنطق وغيرها من العلوم^(١).

وهكذا؛ فإن التواصل الثقافي بين البلاد العربية والهند والباكستان مستمر على مر الزمان، حتى جاء العلامة والمفكر الإسلامي العظيم محمد إقبال فزاد هذا التواصل حرارة وإيماناً وتوثيقاً.. بشعره الفيض المعطار، وفكره النير، وجهاده الدائم في سبيل نصره الإسلام في كل مكان، فهل يستطيع قلبي القاصر أن يفهم حقه بالتعريف للقارئ العربي، ويبرز شخصيته الأخاذة، الفاعلة والمؤثرة، أم يكفي بإعطاء إشارات وعلامات فقط على طريق هذه الشخصية العظيمة؟

